

## المدرسة المالكية بـمازونة □

تعتبر حاضرة مازونة من أهم وأبرز حواضر القطر الجزائري التي اجتهدت قديما في خدمة العلم الشرعي بمختلف فصوله وفنونه، خصوصا المذهب المالكي.

### - التعريف بمدينة مازونة:

إن الباحث في تاريخ هذه المدينة يتعثر بعقبة شح الدراسات التي تناولت تاريخ مازونة، وندرة من تطرق إليها من المتقدمين، لذلك لم يتوصل المؤرخون إلى تاريخ تشييد المدينة، إذ اكتفت المصادر التاريخية بالقول إن مازونة تأسست على أيدي أبناء قبيلة مغراوة، ومنه يمكن القول إنه يعود تأسيس المدينة إلى العصور الوسطى، وبالأضبط بين القرن السابع والثالث عشر الهجريين؛ إذ خلال هذه الفترة لعبت قبيلة مغراوة دورا تاريخيا مهما في المغرب الأوسط.

ويرجح أحد الرحالة أن تاريخ تأسيس المدينة يعود إلى العهد الروماني، بدليل العثور على آثار وقطع نقدية رومانية بالمنطقة، وهذا ما يؤكد الوزان حيث يقول: "وهي مدينة أزلية بناها الرومان، حسب قول بعضهم على بعد نحو أربعين ميلا من البحر، ... ويشاهد بقرب المدينة مناطق خربة مما كان بناه الرومان، لا تحمل أي اسم معروف لدينا، لكن مما يدل على أصلها الروماني العدد الوافر من الكتابات المنقوشة على قطع الرخام"، وفي هذا السياق يذكر الإدريسي أن المدينة كانت موجودة قبل الإسلام بحوالي بضعة قرون.

ووصفها الوزان بأنها مدينة متحضرة جدا في القديم، وفيها جامع وبعض المساجد الأخرى، ونفس الوصف نجده عند أحد الرحالة الألمان حيث يقول: "بأن مازونة منذ القديم بلد العلوم الإسلامية، ولربما أخبرنا أن الطالب الذي قرأ الكتب في مازونة، يتمتع بمكانة لا يتطرق إليها الشك".

### - الحركة العلمية بحاضرة مازونة:

اعتنى أهل مازونة كغيرهم في ناحية المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة بالعلوم الدينية بمختلف فروعها، وكان الفقه الإسلامي أساس هذه العلوم، فقد جرى الاعتناء به والعمل على الإفتاء في المسائل اليومية، كما زاد الاهتمام بحفظ القرآن الكريم والأحاديث

النبوية الشريفة، والبحث في مسائل الأصول، كما اهتم علماء حاضرة مازونة بتفسير القرآن الكريم، وبعض علوم القرآن وفي مقدمتها القراءات، وكتب التدريب على القضاء وآداب المسافر منذ القرن الخامس عشر.

### ومن أبرز علماءها:

- أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني المتوفي حوالي القرن 9هـ / 15 م، والذي شغل منصب قاضي مازونة، وله مؤلفات كثيرة.
- أبو زكريا يحيى بن أبي عمران المازوني المتوفي حوالي 883 هـ - 1478 م، ولد ونشأ بـمازونة ودرسا على والده ثم انتقل إلى تلمسان، وأخذ العلم عن ابن مرزوق الحفيد والقاسم العقباني وغيرهما، تولى القضاء بـمازونة وكان من أكبر فقهاء عصره، ألف كتابه المشهور - كما ستأتي الإشارة إليه - الدرر المكنونة في نوازل مازونة.
- أبو عبد الله الثابتي، كان يسميه صاحب البستان يحيى بن إدريس المازوني، كان يحفظ 27000 حديثاً.

وغير هؤلاء كثير من العلماء الأعلام منهم من بقي بـمازونة، ومنهم من سافر إلى تلمسان وغيرها من الحواضر الأخرى ببلاد المغرب الإسلامي.

### - تأسيس مدرسة مازونة:

شهد المغرب الأوسط عموماً ومازونة خصوصاً خلال القرن السادس هجري تحولات سياسية هامة منها الغارات الإسبانية على السواحل الغربية ونزوح أهل الأندلس، فاختيرت مازونة أول عاصمة لبابك الغرب الجزائري قبل معسكر ووهران مما زاد في إشعاعها الثقافي والعلمي، ومن أبرز ملامحه تأسيس مدرسة مازونة من قبل الشيخ محمد بن شارف، وهو من النازحين الأندلس سنة 1029 هـ، ودرس فيها 64 سنة، وشدت إليها الرحال من كل صوب.

وتكرّما لعلمائها الذين ساهموا في الجهاد ضد الإسبان جدد الأتراك بناءها مرارا وتكرارا، ولعل من مشاهير طلبة مدرسة مازونة:

- أبو راس الناصري حيث بلغ عدد أساتذته أكثر من 41 أستاذا جلهم من حاضرة مازونة.

- محمد بن قندوز المستغنامي خريج مدرسة مازونة ثم الأزهر الشريف وتلميذ الدردير.
  - محمد بن علي السنوسي المجاهري صاحب التآلف في تاريخ المغرب والجزائر.
  - محمد بن عبد المؤمن الرماصي الراشدي.
  - الشيخ الزناتي المغيلي الإدريسي.
  - الشيخ سيدي بوعبد الله المغوفل.
- التآليف المازونية في المذهب المالكي:

لقد ظهرت بحاضرة مازونة عدة تآليف في المذهب المالكي، ولعل أبرزها:

- كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة وهو عبارة عن كتاب جمع فيه صاحبه أبو زكريا المازوني أجوبة علماء تونس وبجاية والجزائر وتلمسان وفتاويهم، ويعتبر الكتاب مصدرا مهما من مصادر المذهب المالكي، اعتمد عليه الإمام الونشريسي في كتابه المعيار المعرب.
  - كتاب تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك لمؤلفه الشيخ الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري.
  - كتاب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق لمؤلفه أبي عمران موسى بن عيسى المازوني (والد صاحب الدرر)، وهو كتاب يقع في مجلد واحد تناول فيه أحكام القضاء والتوثيق على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه.
  - منهاج السلوك في شرح معاني تحفة الملوك لنفس المؤلف (الشيخ الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني).
  - وكانت لأحمد بن محمد بن زكري المازوني عدة تآليف في مسائل القضاء والفتيا منقولة في معيار الونشريسي.
- منهج فقهاء مازونة في الفتوى:

اتبع فقهاء المدرسة منهجا متميزا في الفتوى، يتجلى من خلال المعالم التالية:

أولا: اعتماد أسلوب الفنقلة في الفتيا: وهو من باب التعويل على المحاورات في عرض الوقائع، حيث يفتتح العلماء المسائل بكلمة (فإن قلت)، (قلت)، وقد يفترضون خصوما على طريقة

المناظرة الصورية والمقصد من ذلك الإحاطة بالحقائق على وجه تدفع به الإشكالات التي قد ترد ، ولقصد الاهتمام بما سيذكر بعده.

ثانيا : عرض الفتاوى بطريقة الألفاظ أحيانا : والمقصد تقويم الأذهان وشحذها ، وهو من باب تغيير أسلوب العرض الفقهي لئلا تمل النفوس من تكرار المعهود.

ثالثا : التمييز بين الحقائق اللغوية والاصطلاحية في الإفتاء : وهذا موطن زلت فيه أقدام ، ووقعت بسببه في خلط كبير وتناقض صريح ، والواجب أن يفرق المفتي في المسائل بين منازل الألفاظ ، فلا يجلب المعنى اللغوي متصورا أنه المسمى الاصطلاحي ؛ فيفتي من خلاله . وقد تفادت المدرسة الخلط المذكور وميزت بين الاعتبارات .

رابعا : كثرة الاستدلال على المسائل والاعتماد على نهج الأقيسة الفقهية والمنطقية .

خامسا : اعتماد التخريج على الفروع ، والأصول في الإفتاء .